الحوت العجيب

تأليـــف
محمـد نجيد

مراجعة
ســعد رفعت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع:

على الشاطئ

يجلس باسم على شاطئ البحر يستمتع بأشعة الشمس الذهبية.. المياه تداعب أقدامه...كانت فكرة جيدة من أخته بسمة للخروج إلى الشاطئ فالجو مشمس وجميل.

- سأذهب أنا وأمك للسوق لنشترى أشياء ونعود ثانية يا باسم.
- حسنا يا أبى سننتظركم.
- هل ستنزل البحر معي مرة ثانية يا باسم.
- لا يا بسمة سأستريح أنا قليلا وأنزل بعدها.

تترك بسمة باسم.. تنزل البحر لتسبح فيه مع إحدى الفتيات التى تعرفت عليهن فى البحر... أخذت الأمواج تضرب السابحين بلطف...كل من فى البحر مرح سعيد... لكن ما هى إلا لحظات حتى امتلأت السماء بالسحب على غير العادة وهدأ البحر تماما حتى الأمواج لم تعد كبيرة... واختبأت الشمس خلف السحب فأحس باسم بالقلق يسرى بداخله وأحس أن شيئا غريبا سيحدث..فجأة خرج من البحر حوت كبير أخذ يدفع السابحين

يمينا ويسارا..يخرج من المياه تارة ويغطس فيها تارة أخرى لم يصدق باسم ما يحدث أمامه ففرك عينيه بيده يظن أنه يحلم..نظر مرة أخرى فوجده حقيقي.

- باسم... باسم أنقذنى.

- بسمة بالقرب من الحوت تكاد تغرق من الأمواج الكبيرة التي صنعها الحوت بجسمه.

- أنقذنى يا باسم بسرعة.

يقوم باسم من على مقعده.. جرى ناحية الحوت... لكن للأسف كان الحوت أسرع منه... ابتلع بسمة... فصرخ باسم مناديا على أخته.

- بسمة... بسمة بسماااااااااااااه

اقترب من الحوت فابتلعه هو الآخر... وغطس بهم فى المياه ..نظر باسم حوله فلم يجد إلا سوادا تاما ولم يجد أخته.. فنادى عليها: بسمة... بسماااااه أين أنت يا أختي العزيزة؟

لم يسمع شيئا... قلبه يحدثه أنها ما زالت حيه.. فنادى مرة ثانية عليها.

- بسمة... بسماااااااااااااه أين أنت يا أختاااااااااااااااه؟!!!

جاءه الرد هذه المرة: باسم أخي أأنت هنا؟

صرخ من الفرح بوجود أخته.

- أنا هنا يا بسمة ولكن أين أنت؟

- لا تتحرك يا باسم سأحاول أنا الوصول إليك عبر صوتك.

- استطاعت بسمة أخيرا الوصول لأخيها وعانقته بحرارة وهى تبكى.

باسم الحمد لله أنك حي وأنت يا بسمة أنك حية أيضا..لكن كيف سنخرج من هنا لقد أصبحنا حبيسين مثل سيدنا يونس عليه السلام؟!!بالتأكيد سنجد طريقة للخروج من هنا إن شاء الله

- سيدنا يونس! لقد سمعت كثيرا يا بسمة اسم هذا النبي ولكني لا أعرف قصته. سأحكيها لك أنا يا باسم عسى أن ينقذنا الله مما نحن فيه.

- فى يوم من الأيام وعلى ضفاف نهر دجلة عاش

الآشوريون في مدن كبرى، وكانت نينوى أكبر مدنهم فهي عاصمة البلاد.وفي نينوى كان يعيش مئة ألف إنسان أو أكثر بقليل.كانوا يعيشون حياتهم، يزرعون حقولهم الواسعة ويرعون ماشيتهم الكثيرة في تلك الأرض الخصبة.

وفي تلك المدينة الكبيرة وُلد سيدنا يونس وعاش، حتى إذا أدرك، رأى قومه يعبدون الأوثان والأصنام، ينحتون التماثيل المرمرية ويعبدونها.

الله سبحانه اصطفى عبده يونس (عليه السلام) نبياً، كان يونس إنساناً مؤمناً بالله الواحد القادر، وكان يدرك أن هذه التماثيل والأصنام مجرّد حجارة لا تضرّ ولا تنفع.

الله سبحانه أرسل يونس إلى أهل نينوى يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه ونبذ الأصنام والأوثان.

الناس في تلك البلاد كانوا طيبين ولكنهم كانوا يشركون بالله منذ زمن بعيد وهم يعبدون التماثيل.

وجاء سيدنا يونس ووعظهم ونصحهم وقال لهم: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به أحداً.

ولكن أهل نينوى وقد اعتادوا على عبادة التماثيل رفضوا دعوة يونس، ووقفوا في وجهه.

كل الأنبياء كانوا يُعلِّمون الناس عبادة الله الواحد كل الرسل كانوا يبشّرون بالتوحيد.

الناس كانوا ضالّين، يعبدون الحجارة.. يظنّون أن لها تأثيراً في حياتهم.

جاء سيدنا يونس وأرشدهم إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ولكن ذلك لم ينفع معهم.

وحذّرهم النبي من عاقبة عنادهم.. إن الله سبحانه سيعذّبهم إذا ظلّوا على عنادهم وعبادة الأصنام.

وغضب سيدنا يونس من أهل نينوى فحذّرهم من نزول الغضب الإلهي.

غادر سيدنا يونس نينوى ومضى.

ذهب باتجاه البحر الأبيض. كان يترقّب نزول العذاب بأهل نينوى.

و مضت أيامٌ وأيام، ولكن سيدنا يونس لم يسمع شيئاً.

- سأل كثيراً من المسافرين عن أخبار نينوى وأهلها، وكانوا كلّهم يقولون: أن المدينة بخير.

- و تعجّب سيدنا يونس! لقد صرف الله عن أهل نينوى العذاب.

من أجل هذا واصل طريقه باتجاه البحر الأبيض.

ماذا جرى هناك لماذا صرف الله عن أهل نينوى العذاب؟

عندما غادر سيدنا يونس غاضباً ومضت عدّة أيام شاهد أهل نينوى علامات مخيفة..

السماء تمتلئ بغيوم سوداء كالحة، وهناك ما يشبه الدخان في أعالي السماء.

ورأى بعض الصلحاء تلك العلامات فأدرك أن العذاب الإلهي على وشك أن ينزل فيدمرّ مدينة نينوى بأسرها.

ستتحول المدينة إلى أنقاضٍ وخرائب، من أجل ذلك أسرع وحذّر أهالي نينوى من نزول العذاب قال لهم:

ارحموا أنفسكم! ارحموا أبناءكم وبناتكم. لماذا تعاندون؟! إنّ يونس لا يكذّب أبداً، وأنَّ العذاب سيحلّ بكم.

أهل نينوى رأوا علامات العذاب..

لهذا راحوا يفكرون بمصيرهم بمصير أبنائهم، بمصير مدينتهم.

أدركوا أن هذه التماثيل لا تنفعهم.. إنها مجرّد حجارة نحتها الآباء بأيديهم فلماذا يعبدونها من دون الله؟

شعر أهل نينوى بالندم، كانوا غافلين فانتبهوا، وكانوا نائمين فاستيقظوا.

من أجل ذلك راحوا يبحثون عن سيدنا يونس.. جاءوا يعلنون إيمانهم بالله سبحانه.

و لكنّ سيدنا يونس كان قد غادر نينوى إلى مكان بعيد.. إلى مكان لا يعرفه أحد!

من أجل هذا اجتمعوا في أحد الميادين، وقال لهم الرجل الصالح، أعلنوا إيمانكم يا أهل نينوى، وقال لهم: أن الله رحيم بالعباد فأظهروا الندم، وخذوا الأطفال الرضع من أمهاتهم حتى يعمّ البكاء، وأبعدوا الحيوانات عن المراعي حتى تجوع وتعلوا أصواتها.

- هكذا فعل أهل نينوى فصَلوا بين الأطفال والأمهات، وبكى الأطفال، وبكت الأمهات، الحيوانات كانت تضجّ من الجوع وتعطّلت الحياة في مدينة نينوى..

- الجميع يبكون، الجميع آمنوا بالله الواحد القادر على كل شيء.

- وشيئاً فشيئاً كانت السماء الزرقاء الصافية تظهر، والغيوم السوداء تبتعد.

أشرقت الشمس من جديد، وفرح الناس برحمة الله الواسعة وبنعمة الإيمان والحياة.

- كان أهل نينوى ينتظرون عودة نبيهم، ولكن دون جدوى لقد ذهب سيدنا يونس غاضباً ولم يعد.

وصل سيدنا يونس البحر الأبيض، ووقف في المرفأ ينتظر سفينة تبحر إلى إحدى الجزر.

وجاءت سفينة شراعية.. السفينة كانت مشحونة بالمسافرين.

توقّفت في المرفأ لينزل بعض المسافرين، ويركب البعض الآخر. كان سيدنا يونس من الذين ركبوا السفينة.

انطلقت في عرض البحر بعد أن رفعت أشرعتها عالياً.

وعندما صارت في وسط البحر، هبت العواصف، وارتفعت الأمواج.

وفيما كانت السفينة تمخر المياه المتلاطمة حدث شيء عجيب، ظهر حوت كبير! حوت العنبر الهائل.. كان الحوت يرتفع وسط الأمواج ثم يهوي بذيله ليضرب المياه ضربة هائلة، فيصدر صوتاً يشبه الانفجار، أصاب الأسماك بالذعر فولّت هاربة.

توقف قليلاً فانبثقت نافورة المياه كشلال يتدفق نحو السماء.

اندفع الحوت باتجاه السفينة، ثم انعطف فجأة وحرّك ذيله ليدفع موجة هائلة نحو السفينة، وارتجّت السفينة بعنف!

أدرك ملاحو السفينة أن الحوت يريد تحطيم السفينة وأغراقها كان حوتاً هائلاً وكانت السفينة صغيرة.

لم يكن أمام قبطان السفينة غير طريق واحد هو التضحية بأحد ركاب السفينة ليكون طعاماً للحوت.

لهذا اجتمع ركاب السفينة وأجروا القرعة فمن خرجت عليه القرعة فهو الضحية. وخرجت القرعة على أحد المسافرين وهو رسول الله يونس.

وتقدّم يونس ليواجه مصيره بشجاعة.

عرف سيدنا يونس أن ما حدث كان بمشيئة الله، لهذا لم يخف وهو يهوي باتجاه الأعماق.

رأى المسافرون وركاب السفينة حوت العنبر يتجه نحو الضحية وبعدها لم يروا شيئاً.

اختفى يونس واختفى حوت العنبر ونجت السفينة من الخطر.....

ابتلعت الأمواج سيدنا يونس (عليه السلام)، وفيما هو يحاول السباحة والنجاة إذا به يرى الحوت قادماً نحوه وقد فتح فمه الهائل المخيف.

و مرّت لحظات فإذا يونس في فم الحوت ثم في بطنه

الكبير المظلم!

و في تلك اللحظة أدرك سيدنا يونس أنه كان عليه أن يعود إلى نينوى، لا أن يسافر إلى الجزيرة.

و في أعماق الحوت هتف يونس:

لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين.كان نداء يونس نداء الإيمان بالله القادر على كل شيء...

شعر سيدنا يونس أنه كان عليه أن يعود إلى نينوى مرّة أخرى لا أن يسافر إلى تلك الجزيرة البعيدة.

إن الله سبحانه هو مالك البر والبحر وخالق الحيتان في غمرات البحار.

من أجل هذا راح سيدنا يونس يسبح لله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى.

و تمرّ الساعات، ويونس في بطن الحوت، وتمرّ الساعات والحوت يطوف في أعماق المياه...

سيدنا يونس ما يزال يسبّح لله، كان يهتف: لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين وهكذا تمرّ الأيام والليالي.

ويشاء الله سبحانه أن يتجه الحوت إلى شواطئ إحدى الجزر.. الحوت يقترب من الشاطئ تتقلص معدته وتتدفق من داخلها المياه وكان يونس فوق الأمواج ثم يستقرّ على شطآن الرمال الناعمة.

كان من رحمة الله أن الشاطئ خال من الصخور وإلاّ لتمزق بدن يونس.

يونس الآن في غاية الضعف، جسمه مشبع بالمياه. كان سيدنا يونس منهك القوى ظامئاً. كان يموت من العطش..

إنّه لا يستطيع الحركة يحتاج إلى استراحة مطلقة في الظل.

الله سبحانه أنبت عليه شجرة يقطين، استظلّ سيدنا يونس بأوراق اليقطين العريضة، وراح يأكل على مهل ثمارها...

إن من خواص اليقطين احتواؤه على مواد تفيد في ترميم الجلد وتقوية البدن.

ومن خواصّه أنه يمنع عنه الذباب الذي لا يقرب هذه الشجرة.

وهكذا شاء الله سبحانه أن ينجو يونس من بطن الحوت،

وأن يدرك سيدنا يونس أن الله هو القادر على كل شيء هو الرحمن الرحيم.

استعاد سيدنا يونس صحته وعاد إلى مدينته نينوى.

وفرح سيدنا يونس عندما رأى أهل نينوى يستقبلونه وهم فرحين برحمة الله.. لقد آمن الجميع، فكشف الله عنهم العذاب.. الأطفال يلعبون، والرجال يعملون والمواشي ترعى في المروج بسلام...

...أخذ الاثنان يدعوان الله بضراعة أن ينقذهما مما هما فيه... واستجاب الله لدعوتيهما... فتح الحوت فمه وألقاهما على الشاطئ مرة أخرى وحمدا الله على إنقاذهما ولكن من الغريب أنهما نظرا إلى السماء ليجدا القمر قدألقى بظلاله على مياه البحر والليل قد أسدل ستائره من جديد

- باسم ما هذا المكان وكيف سنعود مرة ثانية لبيتنا؟
- لا أعرف يا بسمة كل ما أراه.....
- أرجوكم ساعدوني. أرجوكم أتوسل إليكم.
- بسمة من أين يأتي هذا الصوت؟ يبدو أننا لسنا الوحيدين على هذه الجزيرة وينظر الاثنان ويدققان النظر فى

الظلام فلم يجدا شيئا... يا ترى من يستغيث. أرجوكم ساعدوني. إنه أنا من يحدثكم ويبحث الاثنان عن مصدر الصوت فلا يعرفا مكانه.

إنه أنا يا أصدقائى من يحدثكم..... أنا الحوت.

كيف ذلك؟؟!!!!!!! الحووووووووووووت!!!

- نعم إنه أنا.. أنا الذى بلعتكم كى تساعدوني وفعلا وجدا الحوت يطفوا على سطح الماء للحظات لم يصدقا أنه الحوت ولكنهم قالو له: كيف سنساعدك ومما تستغيث. سأحكى لكما كل شئ ولكن هل توعدانى بالمساعدة؟؟؟؟؟

- نعم أنا وباسم لو استطعنا مساعدتك فلن نتأخر لحظة.

- حسنا لقد أطمئننت شيئا ما.

منذ عدة أيام كنا نسبح في البحر أنا وصديقي الحوت هنا كعادتنا وفجأة وجدنا سفينة عليها بضعة أشخاص فى منتصف الليل يتحدثون ويتشاورون في أمرا ما ولقد سمعناهم يتحدثون عنا نحن الحيتان ويتحدثون عن أنهم يجب أن ينهوا المهمة فى

أسرع وقت ممكن وسمعت أحد الأشخاص يسأل ويقول:

وماذا عن الحيتان؟

فرد عليه واحد آخر قائلا:

إنه سيتخلص منا قريبا

وفى اليوم الثانى لم أجد صديقى الحوت أبدا كأنه اختفى وأنا متأكد أن هؤلاء الأشخاص وراء اختفائه فأرجوكم ساعدونى ، كم أنا مشتاق لصديقى هذا.. وأرجو ألا يصيب الحيتان الأخرى أى مكروه.

- باسم... يجب مساعدة هذا الحوت بأي طريقة
- ولكن كيف؟
- معرفة أولا مكان السفينة ونجد طريقة أى طريقة لصعودها.

أود أن أتأسف لأنى ابتلعتكم ولكن أردت من يساعدنى.

- أيها الحوت هل تعرف مكان هذه السفينة الآن؟
- نعم إنها فى منتصف البحر ويخرج كل يوم اثنان منهم

بقارب لإحضار الطعام من هذه الجزيرة صباحا والرجوع مرة ثانية للسفينة.

- هذا جيد ولكن كيف نستفيد من هذه النقطة؟

- كيف نستفيد منها يا باسم.؟!

- أقصد أننا من الإمكان معرفة ما يخطط له هؤلاء الأشخاص من هؤلاء الاثنين .

- يبدو أن هذه الجزيرة معزولة عن الأشخاص.... لو ظهرنا لهذين الشخصين وأردنا أن يأخذانا معهم ما رأيك؟

- ولكنهم سيسألوننا عن كيفية استطاعتنا الوصول لهذه الجزيرة المنعزلة.

- سنقول لهم أننا عرفنا بأمر المهمة التي يخططون لها عسى أن يخافوا ويتراجعوا عنها.

- وإذا امسكوا بنا وأخذونا معهم؟!!!

- هذا ما نريده ولكن كيف نستفيد من هذه النقطة؟؟!!

- هذا ما أريده فأنتم تستطيعون الدخول وسطهم ومعرفة أمر هذه المهمة والخطر الذي يهددنا فأنا لا أستطيع معرفة

كل ما يخططون له يا أصدقائي فأنتم بشر على عكسي مجرد حوت.

وأتفق الثلاثة بعدها على أن يظل باسم وبسمة على هذه الجزيرة للصباح وعندما يظهر الاثنين ويحضرا الطعام يظهروا لهم ويخبروهم بأنهم عرفوا أمر المهمة ولو أمسكوهما واقتادوهما للسفينة فسيأتى لهما الحوت كل يوم ويعرف ماذا حدث وهل عرفوا شيئا أم لا ونام الاثنين للصباح..... وظهر الرجلين وأمسكا بباسم وبسمة:

- من أنتما وما الذى جاء بكما إلى هنا؟

- لا يهم من نحن ولا كيف جئنا الى هنا المهم أننا عرفنا بأمر المهمة والخطر الذى يهدد الحيتان.

وما أن سمع الاثنين ذلك نظرا لبعضهما البعض بدهشة:

- مستحيل لا يوجد أحدا غيرنا يعرف أمر المهمة التي جئنا من أجلها.

- هؤلاء لو ظلوا أحياء لوجد خطر كبير علينا..... يجب أن نأخذهما للسفينة ونجعل الزعيم يقضى عليهما بنفسه بعد أن يتكلما ويقولا كيف عرفا.

- قيدوا باسم وبسمة وأخذوهما فى القارب واتجهوا ناحية السفينة ولما شاهدهما زعيم السفينة اندهش أشد الدهشة لوجودهما.

- من هؤلاء وكيف حضرا إلى هنا !!!!

- لا نعرف أيها الزعيم ولكننا وجدناهما على شاطىء الجزيرة غير ذلك أنهما يقولان بأنهما يعرفان أمر المهمة التى قد حضرنا من أجلها.

تبدلت ملامح الزعيم الذى يبدو أنه أكبر سنا

شهق الزعيم بفزع المهمة!!!!

مستحيل... مستحيل ... لا يعرف بأمرها إلا نحن.

وكان على السفينة رجلان آخران غير الرجلان اللذين قيدا باسم وبسمة فنظر الزعيم لهما بغضب:-

- يوجد خائنا بيننا.

ارتجف الأربعة من هذه الكلمة.

-أيها الزعيم كيف تصدق هذين الأبلهين؟

– كيف نخاطر بالمجئ الى هنا وأنت تعرف أننا معا فى هذه المهمة قد نفقد حياتنا ولو كان بيننا خائن لفضل عدم المجئ الي هنا والمجازفة بحياته.

– وبدا أن كلمات هذا الرجل قد أثرت على الزعيم فقد ظهر الارتياح على وجهه.

– إذا كيف عرفا بأمر المهمة ؟ ؟

– كيف عرفتما أيها الاثنين بأمر المهمة قولا لى وإلا.....

– أنا أسف أيها الزعيم لمقاطعتك .

– ولكن خطرت لى فكرة رهيبة الأن وأود عرضها

– ما هذه الفكرة؟!!!!!!

– لماذا لا نجعل هذين الاثنين يقومان بالمهمة بدلا منا.

نظر الزعيم ناحية البحر..... سقط في بحر التفكير العميق.

– وحتى لو ماتا أو أصابهما مكروه لن نخسر شيئا فهم ليسا من رجالنا.

- ما اسميكما؟

-بسمة

-باسم.

أمرهم الزعيم بحبس بسمة وباسم.

- أحبسوهما أسفل السفينة إلى أن ننتهى من تجهيز أمر المهمة وتحديد الوقت المناسب .

اقتادوا باسم وبسمة إلى غرفة سفلية فى السفينة وأغلقا عليهما الباب.

- باسم ماذا سنفعل الآن؟

- يجب أن نفكر يا بسمة فى طريقة لمعرفة هذه المهمة أولا وبعدها نجد طريقة للهرب فمن الممكن أن يساعدنا صديقنا الحوت.

أخذ الاثنان يستكشفان غرفة الحبس... تبدو مخزنا للأشياء القديمة لم يجدا فيها أي شئ غير عادى .

جلسا على الأرض حائرين... أى مهمة التى يتحدث عنها هؤلاء الرجال... وأى خطر يهدد الحيتان... بل من الممكن

القضاء عليها تماما وهل لو عرفا بأمر هذه المهمة الخفية يستطيعون منعها أو على الأقل إيقافها... فتح الباب رجل يحمل صينية عليها بعض أرغفة من الخبز وقطعة جبن وضعها أمام باسم وبسمة وخرج بدون أن يتكلم ..مد باسم يده للخبز وسمى الله وهم بالأكل ولكن بسمة أمسكت بيده بسرعة.

- ربما وضعوا لنا سما فى هذا الخبز.

- لا أظن ذلك فلو كانوا قد أرادوا قتلنا لكان من السهل أن يلقوا بنا فى وسط البحر فنموت غرقا ناهيك عن أنهم قالوا أننا قد نؤدى المهمة بدلا منهم.

بدا الاقتناع على وجه بسمة.. سمت الله..أكل الاثنين...لم يحدث شئ لهما.

- أتظن يا باسم أن الأسر لنا سيطول؟؟!!!!!

- أعتقد هذا فكوننا سنقوم بهذه المهمة بدلا منهم دليل على أننا أصبحنا جزءا لا يتجزء من هذه المهمة وأنا فى أشد اللهفة والشوق لمعرفتها وأنا سأبذل قصارى جهدي لمنعها.

- نعم ما دمنا سنكون فيها ستكون فرحتنا كبيرة لمنعها.

عند الظهيرة أخذ الرجال باسم وبسمة أعلي السفينة وظنا أنهم سيخبروهما بأمر المهمة لكنهم لم يفعلوا .

لوح لهم الزعيم بيده قائلا:

أرجوا منكما عدم محاولة التفكير فى الهرب الآن لأننا لو أحسسنا بأى تخطيط له فستدفعون الثمن حياتكم .. كان فى إمكانى إطلاق سراحكما ولكنكما قلتما أنكما تعرفان أمر المهمة ومن الخطر علينا إطلاق سراحكما والذى أعجب منه: من عرفكما بأمرها؟!!!.

نظر باسم وبسمة إلى الزعيم بدون أن يتكلما فظهر الغضب على وجه الزعيم وصرخ فيهما تكلما أيها الأغبياء ولما وجد أنه لا أمل من أن يردا على سؤاله سكت وأدار وجه للبحر ووقف شاردا بضع لحظات وعقد يديه خلف ظهره قائلا:

حسنا لا تتكلما ولكن اعلما بأن مجيئكما إلينا هنا بالصيد الثمين الذى لن نتخلى عنه.

تمنى باسم وبسمة أن يقوما برحلة بحرية على سفينة مثل ذلك

ولكن فى ظروف أفضل ، ظن أن الزعيم سيأمر بإعادتهم للغرفة ولكنه لم يفعل.

_ أليس من المؤسف أن تضيع حياة هذين الاثنين أيها الزعيم هباء ماذا فعلا لكى يموتا.

- أنا لم أقل أنهما سيموتا ولكن من الممكن لو فشلا.....فسيكون مصيرهما الموت.

ثم أحضر أحد الرجال خريطة للزعيم وناولها له فأمسك بها وفردها بيديه ونظر فيها ثم رفع رأسه ونظر للبحر وقال لرجاله:

- نحن لا زلنا بعيدين عن هدفنا.

- نعم أيها الزعيم ولكن هذه فرصة كافية لإعادة ترتيب خطتنا ونتأكد أننا لم ننس شيئا.

ووقف الخمسة بعيدا عن باسم وبسمة يتحدثون.

_ بسمة لماذا لا نخمن نحن عن طبيعة هذه المهمة فمن الممكن أن نعرفها قبل أن يخبرونا هم بها.

- فكر معى يا باسم مادمنا فى البحر فالمهمة مرتبطة بالبحر

ولكن ياترى أى خطر يهدد الحيتان؟!

- لا أعلم هذه النقطة لو توصلنا إليها سنكون قد كشفنا كل شئ ولكنك كما ترين لم يفصحوا عن أى شئ بعد.

ظهر الحوت على جانب السفينة من الناحية التى يقف عندها باسم وبسمة ولما رأوه لم يظهرا شيئا لكى لا يراهما أحد من الرجال واقتربوا أكثر ناحيته.

- أيها الأصدقاء إلى أين توصلتم؟

- لا شئ أيها الحوت ولكن اعلم أنهم سيجعلونا نقوم بالمهمة بدلا منهم.

- كم أنا مشتاق جدا لصديقى أرجوا أن يكون حيا.. أخاف أن يكون قد أصابة أذى.. لقد وجدت شيئا غريبا فى المحيط لأول مرة أراه و.....

- اذهب أيها الحوت الآن بسرعة لقد جاءوا.

طوي الزعيم الخريطة وسار ناحية

باسم وبسمة :

- إلى من كنتما تتحدثان أيها الأحباب.

- لاشئ لاشئ ..... صرخ أحد الرجال وهو يشير ناحية البحر:

- لقد رأيته أيها الزعيم أقسم لك أننى رأيته.

نظر الزعيم ناحية البحر وقال:

- مستحيل ما زلنا نحن بعيدين عن مكانه كيف أتى إلى هنا.

- أيها الزعيم لا يهم كيف أتى إلى هنا الأهم من ذلك أنه اقترب وهذا يوفر مجهود كبير ويوفر لنا أياما كثيرة.

هز الزعيم رأسه وحاول أن يشاهد هذا الشئ عبر البحر.. ضرب أخماسا بأسداس:

- مستحيل.. يوجد شئ خطأ.. مستحيل.. وفرد الخريطة مرة ثانية واجتمع الخمسة رجال حوله وأخذوا يناقشون أمرا ما:

- ماذا لو هرب منا ولم نمسك به؟.

- لا تقل ذلك.. قل لو استطعنا الإمساك به فإلى أى شهرة ستنالها.

- أيها الزعيم هل تعتقد أن جهازنا هذا سينجح في كشف أسباب الانهيار؟.

- هذا ما يقلقني.. ماذا لو فشلنا فى استخلاص كل المعلومات التى نحتاجها من رأسهم أنعود ونحن نجر أذيال الخيبة هذا مستحيل.

- غير ذلك نحن لم نتأكد تماما من أنهما فعلا الحقيقيين.. قد يكون خداع بصرى أو شئ شبيه فقط .

تفرقوا على السفينة وباسم وبسمة يتسائلان؟

عن أى شئ يتحدث الزعيم وعن أى معلومات يحتاجونها حاولوا سؤال أحد الرجال منهم والذى تبين أنه غير راض عن هذه الرحلة أبدا ويتمنى العودة مفضلا إياها عما أتوا من أجله.

- أرجوك نريد أن نعرف إلى أى مكان نحن سنذهب إليه وأى شئ سنفعله.

فعقد الرجل يديه أمام صدره ووقف أمام باسم وبسمة ثم نظر إلى الزعيم والتفت اليهم وقال:

- أعرف أن ما سأقوله قد يعرضنى للخطر....

ولكن هذا الأمر ستعرفونه إما آجلا أو عاجلا ....

أه نسيت...كنت أتمني أن أعرفكم باسمي لكن محظور على كلنا أن يعرف أحدا به.... ونحن سطح السفينة هذه ...وقت الظهر والهدوء يبتلع البحر.. ظهر فجأة كائن يجرى على سطح الماء واختفى بسرعة... لم يهتم أحدنا ساعتها بأمره... وحل الليل ..وجلسنا نتسامر نحن والزعيم..وقال الرجل الذى رأى هذا الكائن عما وجده فاستفسر عن أوصافه فحاول وصفها كما رأه وكم كانت دهشتنا عظيمة عندما قام الزعيم بجرى ناحية كتبه ويفتح إحداها وكان هذا الكتاب عن الكائنات البحرية النادرة والمنقرضة وتوقف عند صفحة بعينها ..وأشار على صورة كائن بحرى غريب.. وقال: أن هذا الكائن هو من رآه ويعلم أنه كان يعيش فى قارة أطلانتس ووجوده حيا يكون نصرا وكشفا علميا عظيما وقرر الزعيم اصطياده ولكن لم يتوقف الأمر عند هذا الحد.. بل كان للزعيم رأى آخر بعد اصطياده ..فبعد اصطيادهم سيضعهم على جهاز قد صنعه أحد العلماء... وفكرته(تحويل تلك

المعلومات والأحداث التى حدثت وعاصرتها الكائنات فى حياتها إلى صوت وصورة كأنك تشاهد فيلم تسجيليا)

بكل اختصار لو اصطاد هذا الكائن واستطاع أن يحصل على كل المعلومات من رأس الكائن لعرف أعظم سر عرفته البشرية وسر أكبر شئ فى العالم وهو أعظم قارة هى قارة أطلانتس وسر اندثارها وفنائها.

كان باسم وبسمة يظنان أن هذا الرجل قال هذا الحديث من نفسه ولم يعلم الزعيم ولكن الزعيم هو من حثه على ذلك.

- بسمة أتصدقين أنه من الممكن فعل ذلك؟!

- من الممكن فأنا ما أعرفه عن الذاكرة أيضا هي الركيزة الأساسية للعقل وعندما نفقد الذاكرة لا نعلم من نكون ومنذ قدومنا للحياة فكل ما نحسه وندركه يسجل فى الذاكرة قد يتوارى بسبب الغفلة والإهمال لكنه لا يمحى..

والذاكرة هى ركن التعلم فاكتساب المعلومات وتخزينها واسترجاعها هى أعظم وظائف الدماغ.

– حسنا يا بسمة لقد عرفنا بأمر المهمة التى جاءوا من أجلها ولكننا لم نعرف الى أين ذهب واختفى الحوت وما المخاطر التى تنتظر الحوت أقصد الحيتان.

– وخرج باسم وبسمة من غرفتيهما ووقفا على ظهر السفينة يتمنيان أن يشاهدا هذين الكائنين ولكن فجأة خرج الحوت من المياه فرحبوا به وحدثوه بسرعة عن كل ما سمعوه:

– إذن ما رأيته كان صحيحا... لقد رأيت هذين الكائنين.

– الكائنين!!

– نعم إنهما كائنين ولكنهما ليسا غريبين لهذه الدرجة فهما يشبهان السلاحف.. غير لونهم الأزرق وعينيهما الواسعتين ولكنى لم أراهما إلا بالأمس.

– إذن ما هى وظيفتنا نحن لكى يحتجزوننا... هنا بالتأكيد إنها مرتبطة بهذين الكائنين.

لحسن الحظ إن كل من على السفينة منشغل شئ ما.. مما أتاح لباسم وبسمة فرصة أكبر للحديث مع الحوت.

- ولكن هل تظن أن سبب اختفاء صديقك الحوت وراء ظهور هذين الكائنين.

- ولما لا يا بسمة.

- أيها الحوت اذهب أنت بسرعة لقد جاء الزعيم ناحيتنا. فغطس الحوت بسرعة والتفت الاثنان للزعيم.

- أرجوا أن تكونا قد عرفتما أخيرا بشأن المهمة التى جئنا من أجلها ولكى تعرفا دوركما سأعطيكما قطعتين مربعتين صغيرتين فى حجم خاتم صغير ستغرزونها فى جسم هذين الكائنين عند خروجهما للشاطئ واستدار عائدا ولم يترك لهما مجالا للأسئلة أبدا.

- الآن أنا فهمت كيف من الممكن أن تتعرض حياتنا للخطر فهم يخشون الاقتراب من هاذين الكائنين لأنهما لا يعرفان طبيعتهما قد يكونا مسالمين وقد يكونا متوحشين وقد يقتلونا بمجرد أن نقترب منهما.

- نحن لن ننتظر يا بسمة يجب الهرب .

- ولكن كيف !!

من الممكن أن نقذف أنفسنا فى المياه ولكن الحوت سيستاء منا لأننا لم نفك لغز اختفاء صديقه الحوت ولم نكشف سر الخطر الذى يهدد الحيتان.

- هل نبقى؟

- لا يوجد أمامنا حل إلا هذا ونتمنى من الله ألا يؤذينا هذين الكائنين.

وقرر الاثنين البقاء لحين وضع هذا الجهاز فى جسم الكائنين ولكن الغريب فى ذلك كيف علم الزعيم بخروج الكائنات للشاطئ وعرف أنهما اثنين وليس واحدا.

.. وفى الصباح التالي استيقظ باسم وبسمة

.. تناولا أفطارهما وفتح لهما الزعيم لما سئلا عن الآخرين أخبرهم أنهم ذهبوا لإلقاء شبكة أسماك على هذين الكائنين لكى لا يستطيعا العودة للماء وعند عودتهم سينزلان هما للشاطئ ووضع القطعتين من الجهاز والعودة.

وعاد الرجلين وركبا معهم باسم وبسمة متجهين للشاطئ ليريا الكائنين الذين يقاربان فى الشبه السلحفاة غير حركتها السريعة ولونهم الأزرق وعيونهم الواسعة واستطاعا أخيرا وضع القطعتين فى جسميهما بعد عدة محاولات يائسة

وعادا للقارب الذى عليه الرجلين

وعادا للسفينة ودخل الجميع غرفة بها جهاز كمبيوتر محمول متصل بجهاز شاشته سوداء يبث إشارات متعرجة....

وظهر على جهاز الكمبيوتر مدينة رائعة الجمال بها قوم يشترون ويبيعون ..

عندها صاح الزعيم فرحا:

لقد نجحت فكرتنا لقد نجحنا يا رفاق

لكنه لم يعلم أن مفاجأة قوية جدا فى انتظاره

لم ولن يتوقعها على الإطلاق

بل لن يتوقعها أحد على ظهر الأرض.

******

مفاجأة كبرى

أخذ الجميع بما فيهم بسمة وباسم يشاهدون ما يظهر على شاشة الكمبيوتر مأخوذين بدهشة وبإعجاب شديدين..... المدينة كانت بحق رائعة الجمال..... الناس فيها يلبسون ملابس زاهية وجميلة..... قصور فخمة على كلا الجانبين..... الأشياء فى كل مكان.....الورود تزرع أمام كل قصر..... ثمة بحيرة عذبة المياه تجلس فتاة عندها متأملة تحت شجرة ...القمر يدغدغ المياه بضوئه الفضى فتتشكل صورا غاية فى الجمال والروعة..تسعد لرؤيتها الفتاة

– آهههههه رأسيييييى .

نظر الزعيم لباسم سائلا عن سبب هذه الآه :

– ماذا بك يا فتى؟

– إنى أحس بألما فى رأسى..الألم فظيع..الألم يكاد يمزق رأسى آآآآآآه .

ويمسك باسم برأسه ويتألم ولما نظرت بسمة له صرخت وهى تقول له:

– باسم ما هذه البقع الزرقاء التي علي يديك؟؟؟

فأنزل باسم يديه من على رأسه وحدق فيهما مندهشا وهو لا يصدق ما يراه.

نظر رجال الزعيم بعضهم إلي بعض وانزعجوا من رؤية هذه البقع على يد باسم وانزعجوا أكثر عندما وجدو نفس البقع على يد بسمة التي بدأت فى الانتشار.

– أنا أعرف من أين جاءتهم هذه البقع.

– من أين جاءتهم أيها الزعيم؟

– لقد نقل الكائنين عدوى قاتلة لهما وهما يضعان أجزاء الجهاز على جسميهما يجب أن تتخلص منهم بأقصى سرعة قبل أن تنتقل العدوى إلينا نحن الآخرين.

– هل نقتلهما سيدى الزعيم؟؟؟؟!!

– ليس الآن... سننتظر لحين تسجيل ما نأخذه من أدمغة الكائنين وننسخه على اسطوانات ثم نهرب من هنا ونترك هذين الصغيرين يلقيان مصيريهما.

- ولكن أليس هذا ظلما لهما أنتركهما يموتان وحديهما على جزيرة منعزلة من الناس.

صرخ الزعيم....كاد يفتك بالرجل بيد أنه تمالك أعصابه:

- أيها الذكى كيف تضمن أننا لو أخذناهما معنا لن ينقلان العدوى لنا؟

فطأطأ الرجل رأسه وسكت.

- حسنا أخرجوا هذين الصبيين بسرعة من هنا

لا.... قيدوهما وضعوهما فى جوالين واقذفوهما فى الماء وسنبحر نحن بسرعة

فعلوا ما أمرهم الزعيم به فقيدا باسم وبسمة وهم يحاولون ألا يلمسا أيديهم ووضعوهما فى جوالين وقذفوهما فى الماء بينما أبحرت السفينة بعيدا وتركت باسم وبسمة مع المجهول.

***

إنهم أحياء

ابتعدت السفينة مبحرة بعيدا عن باسم وبسمة وكل من فيها يهنئ الآخر بهذا النصر الخرافى فمعهم الآن وثيقة حقيقية عن شعب أطلانتس...

وكل المعلومات التى يحتاجونها لمعرفة كل شئ عن هذه القارة

ولم يهتموا بالمصير المجهول لباسم وبسمة...

التقطهم الحوت وابتلعهم... عند الشاطئ قذفهم...

ولحسن الحظ فلم يهتم الرجل بتقيد الجوالين جيدا بمجرد أن قذفهم الحوت عند الشاطئ انفك القيد من على الجوالين وخرجا يحمدان الله على نجاتهما..

ووجدا الحوت وعرفا أنه هو الذى أنقذهما من الغرق وشكراه على ذلك ولكنهما لم يجدا الحوت بمفرده فقد كان صديقه معه.

– لقد عاد صديقك.

– نعم أيها الأصدقاء وهذه قصة أخرى سأحكيها لكما فيما بعد ولكن الأهم من ذلك أنني قد سمعت ما قد خططه لكما هؤلاء

الأشرار وأنقذناكما في الوقت المناسب.

سقط فجأة باسم على الأرض ولم يستطع الوقوف مرة أخرى من شدة الإعياء وبسمة قد بدأ التعب يحل بجسمها أهذا المرض معد إلى هذه الدرجة.. وهل من الممكن أن يلقى الإثنين حتفيهما بسبب هذا المرض؟؟

جلست بسمة بركبتها تحاول إيقاف باسم والذى وقف بصعوبة بالغة بل لايكاد يقوى على الكلام.

– يا الله أنقذنا مما نحن فيه أنقذنا يااااااااااااااارب

– بسمة سأعود أنا للبحر الآن وسأحاول بكل طاقتى أنا وصديقى إيجاد علاج لكما.

– حسنا أيها الحوت الطيب نحن فى انتظارك.

واختفى الحوت وصديقه فى البحر وباسم يزداد تعبا وبسمة تتضرع الى الله أن ينقذهما.

باسم تحامل على نفسك واستند علي سندخل هذه الجزيرة ونستظل بأى شجرة لحين وصول صديقنا الحوت.....أخذ باسم يجر

نفسه وبسمة تساعده على السير بصعوبة يبدوا أنها هى الأخرى قد تعبت مثله ازدادت البقع الزرقاء على أيديها ...وصلت لمرفق كلا منهما وأصبح جسميهما يتصببان عرقا وبلغ منهما التعب مبلغة فسقطا مغشيا عليهما فاقدى الوعى.

***

– وجد باسم نفسه ينام على شئ ناعم لم يتذكر ماذا حدث له وما الذى أتى به الى هنا ولكنه فتح عينيه ببطئ لتتجلى له الرؤية تدريجيا حتى يجد نفسه فى مكان أشبه بالكهف وبجواره أخته بسمة مازالت نائمة تذكر كل ما حدث له ونظر ليديه ليجد أن هذه البقع قد خفت شئ ما وقلت..هز بسمة برفق لتستيقظ هى الأخرى وتنهض وتجلس.

– باسم ما الذى أتى بنا إلى هنا ؟!!!

– لا أعرف يا بسمة فآخر شئ تذكرته هو أننا كنا على الجزيرة.

وقف الاثنان يستكشفان هذا المكان الجديد عليهما ليجدا أنه كهف فعلا

كانا ينامان على وسادة كبيرة للحظات..

لم يريا أى أحد أو أى شخص بالكهف..

ظنا أنهما الوحيدين فيه...

ولكن كانا خاطئين...

فقد دخل من باب الكهف رجلين عجوزين كل منهما له لحية بيضاء ويلبس جلبابا أبيضا وما أن رأوهما حتى رحبا بهما:

- أهلا بكما... أهلا... لقد تحسنت صحتكما كثيرا... من حسن حظكما أننا وجدناكما على الشاطئ.

... دخل الكائنين الكهف فانزعج باسم وبسمة من أمرهما ..

ولما رأى العجوزين ذلك أمسك بأحد الكائنين وحمله وأخذ يربت عليه برفق.

- لا تخافا إنه لا يؤذى.

- ولكنه سبب مرضنا.

- لا نعرف حقيقة سبب مرضكما ولكننا أعطيناكما أعشابا

خففت كثيرا من مرضكما.

– أرجو منكما أن تخبرانا كيف جئتما إلي هنا... فمنذ زمنا طويل لم نر أحدا هنا.

جلس الأربعة مع بعضهم يقصون ما حدث وإلى أن وصل باسم للجزء من حديث أطلانتس وفكرة استخلاص المعلومات من رأس الكائنين حتى صرخا:

– مستحيل لو كان ماقلتوه صحيحا إذا هم في طريقهم لمعرفة سر صناعة سلاح خطير يكفى فى بضعة أيام تدمير الأرض ومن عليها كما حدث لقارتنا أطلانتس.

– ماذا قلت؟ قارتكم أطلانتس.

– نعم الذى لا تعرفونه أننا من أطلانتس وأول أشخاص يروننا هنا منذ زمن بعيد أنتما..

– لم نكن نتخيل يوما ما أن يكون حالنا هكذا فلقد كانت قارتنا من أروع ما يكون كأنها جنة الله على الأرض قصور فخمة...مياه عذبة ..أراض واسعة ...لكى لا أطيل عليكما... كأنها

كانت جنة الله فى الأرض.

– إذا ماذا حدث لكى تختفى هذه القارة.؟!!!!

– كنا متحضرين فى المدينة... وفى أصول البناء.... كنا على درجة كبيرة من العلم... لكننا لم نكن نفكر يوما فى استخدام هذا العلم فى الشر... حتى جاء ابني حاكم المدينة إلى قارتنا...

كان يتصف بالغرور.. وقال: إن قارتنا يجب أن تتسلح ضد أعدائها بالرغم من أنه لم يوجد لنا أعداء ...فكل البلاد المجاورة لنا كانت صديقة لنا... وفى سبيل ذلك عكف على وضع أسلحة مدمرة.. وكان يلزمه تجربتها ...كان منا الذى فر وكنا نحن منهم ..وكان منا من بقى ومات... فعند تجربة هذه الأسلحة كانت نتائجها مدمرة... مماأغرق القارة بأكملها.

– وما الخطر مما فعله البحارة من أخذ المعلومات من رأس هذين الكائنين ؟؟؟؟؟؟؟؟

– الخطير أن هذين الكائنين كانا يتبعان ابن الحاكم في كل مكان وبالتالى فهما شاهدا كيفية صناعة هذه الأسلحة.. وبذلك فهى

مسجلة فى ذاكرتهم وعند استرجاعها يسترجعوا كيفية صناعة الأسلحة.

– إذن علينا يا باسم إيقافهم بأى طريقة وأخذ منهم كل المعلومات التى تم نسخها على اسطوانات.

– نزعوا بسرعة قطع الأجهزة التى غرزوها فى جسم الكائنين.

– إذن ما علينا فعله هو إيجاد السفينة بأى طريقة والإمساك بهؤلاء البحارة اللصوص يا باسم.

– هذه المهمة سنتركها لكما أيها الصغيرين فأنتما كما تريان نحن كبار السن لا نستطيع العراك مع هؤلاء.

فكر باسم وبسمة بعض الوقت فى حل.... وتذكروا الحوت

– هل من الممكن أن يساعدنا الحوت يا باسم؟!!!!

– الحوت الذى كنا نعالجه؟!!!!!!!!!

– هل كنتما تعالجان حوت ؟!!!!!!!

– نعم ثمة بحارة حاولوا اصطياده ولكنهم جرحوه فقط وعالجناه ورجع لصحته أخيرا.

- بالتأكيد أنه صديق الحوت يا بسمة وهذا سر اختفائه.

- حسنا من الممكن أن يحدد لنا الحوت مكان السفينة.

وبالفعل انتظروا الحوت وأخبرهم أنهم سيسبح هناك إلى أن يعرف مكان السفينة وعاد مرة ثانية ليقول لهم أن السفينة قد توقفت بالقرب من الشاطئ وقد نزل كل من عليها فى قارب ودخلوا الجزيرة هم الخمسة ولكنه لم يرى أحدهم يمسك شئ بيديه اللهم إلا بعض الطعام وقد تركوا سلم خشبى مدلى على ظهر السفينة.

- هذه فرصتكم أيها الأصدقاء فى إحضار الاسطوانات مرة أخرى قبل أن يتوصل هؤلاء لسر تصنيع السلاح.. سنحضر لكما قاربين... وستجدفان فيه حتى تصلا للسفينة وتتسلقان السلم الخشبى وتبحثان عن الاسطوانات عندما تجدونها أحضراها أو على القل حطماها.. هيا أذهبا وفقكما الله.

وأحضروا القارب وأخذا يجدفان إلى أن وصلا للسفينة وتسلقاها ودخلا الغرفة ووجدا الاسطوانات المنسوخة

خرجا بسرعة لسطح السفينة ولكن قبل خروجهما سمعا

صوت الزعيم يقول:

– هذا الجهاز قادر على هلاك جميع الحيتان هنا.... فألجمتهم المفاجأة.. ولم يستطيعا فعل أى شىء فوقفا ثابتين ودخل الزعيم ليندهش من وجودهما:

– إنكما لم تموتا!!!!!!!! كيف حدث ذلك؟؟ لقد أخذتم اسطواناتى !!!

فكر باسم وبسمة لو أعطوا فرصة للزعيم بإمساكهما.. لن يتردد في قتلهم ...وعليهما تحطيم هذه الاسطوانات بأسرع وقت.. أخذ الاثنين بسرعة يبحثان بأعينهم على أى شىء ثقيل يحطمان بها الإسطوانات... ووجدا قطعة معدنية صغيرة فأمسكوها وضربوا بها على الإسطوانات فتحطمت..

وأخذ يصرخ الزعيم بغضب شديد...أيها الأغبياء أيها الأغبياء لقد دمرتم مستقبلى لقد دمرتموووووووووووووووووووه ...لكنى لن أفلتكم.. سأقتلكم هذه المرة.. ولن ينقذكم أحد..

– هجم الخمسة على بسمة وباسم وقيدوهما وقيدوا فى آخر

الحبل صخرة والقوا بهما فى الماء.

***

- باسم استيقظ... استيقظ يا باسم.

فتح باسم عينيه ببطئ ليجد نفسه ما زال على الشاطئ وأخته تداعب وجهه بإصابعها وتقول:

- لماذا لم تنزل للمياه لقد ناديت عليك كثيرا ولم تتنبه لى.

نظر حوله ليجد الناس كما هى.. والشمس مازالت تشرق فى السماء..والمياه تداعب أقدامه.. لكنه لم يجد أحدا ولا الحوت ولا الزعيم ولا سكان أطلانتس.

تمت بحمد الله

محمد نجيد